



المنقرضون ...

ماذا نتعلم من درس التاريخ

القديم والمعاصر؟

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

خبرة التاريخ

رأينا سقوط الإمبراطورية البريطانية التي لا تغرب عنها الشمس. ورأينا انهيار الاتحاد السوفيتي، القوة العظمى الذي وقف أمام الولايات المتحدة كقوة عظمى مقابلة. غابت شمس الإمبراطورية الرومانية عندما انقسمت إلى شرقية وأخرى غربية. وضاعت أيضًا مملكة الأتراك العثمانيين.

لا تختلف أسباب زوال بعض مناطق الكرازة المسيحية عن سقوط الإمبراطوريات. فقد سبق أن ضاعت كنائس النوبة، والخميس مدن الغربية. وحدث ذات الضياع لكرازة بولس الرسول بضياع كنائس أسيا الصغرى عندما تحولت إلى ساحة قتال بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية.

قانون الانقراض هذا، لاحظته الطبيب فرانز فانون في كتابه "بؤساء الأرض". يدب الصراع الداخلي، وينقسم الشعب إلى طوائف وجماعات تتصارع بالسلح، وتتحتم النتيجة.

فشلت القوة العسكرية في تقدم ألمانيا النازية. وكان قمع الحريات هو ذاته الذي غرس بذرة المقاومة في دول أوروبا. ولكن عجزت القوة العسكرية الأمريكية عن قتل الأيديولوجية في فيتنام.

البقاء له قوانين، والانقراض أيضًا له قوانين.

الصدفة ليست من قوانين البقاء. قد يموت زعيم ما صدفةً وقدرًا، ولكن الشعب لا يموت بقانون الصدفة التي لا قانون لها.

هل نحن على طريق الانقراض؟

نعم، وبكل صراحة. قلب كنيسة مصر يقع في مدن وقرى صعيد مصر. فهل ستبقى كنيسة مصر في صعيد مصر؟ إن التهجير وخطف القاصرات ومنع إقامة أو تجديد الكنائس، وفقدان ملكية الأرض الزراعية هو بداية الانقراض.

كان بعض قادة حزب الوفد المصري يطالبون بالعمل الحر، ومجال هذا العمل مفتوح، لا سيما لمن يملك رأس المال. ولم تساهم المؤسسة الكنسية في أي مشروع، بل اكتفت بمجرد البقاء. نفس نظام العصر الوسيط: الإيبارشية عزبة وإقطاعية يملكها المطران أو الأسقف. يكفي أن تسأل عن ميزانية عامة تشارك فيها كل كنائس مصر توفر التعليم، وتقدم منحًا دراسية، وتدعم معاهد اللاهوت.

طبعًا نحتاج إلى قيادات تؤمن بأن المستقبل هو طريقٌ ترسمه فروع شجرة المعرفة.

التقدم لا يكون للخلف، بل للأمام. والتقدم هو المعرفة قبل أي شيء آخر. هل نسينا مثلاً شهيرًا للرب يسوع نفسه عن الذي أخذ الوزنَ ودفنها، فطُردَ من خدمة سيده؟

عندما سمعت قصيدة الأبنودي "عدى النهار" بصوت عبد الحليم حافظ، تذكرت بكاء الرب على أورشليم "لأنك لم تعريي زمان افتقادي". وكلمات الأبنودي عن مصر: "جاها نهار معرفش يدفع مهرها". كان جرح ٦٧ مؤلماً.

هل آن لنا أن نتحسس زمان افتقادنا؟

عبرت القوات المسلحة الهزيمة بالعرق والدم وبجياة شهداء شرفاء تقدمت مصر عسكرياً واستطاعت أن تشق الطريق نحو المستقبل بالعمل وبناء اقتصاد تجمّد بسبب حروب ٥٦ - ٦٧ - ٧٣.

الرضى بما لدينا هو طريق الانقراض.

التقدم يقوم على محاور ثلاثة:

- ١- التعليم الكنسي.
- ٢- استعادة الثقة في القانون الكنسي.
- ٣- خلق نظام كنسي يجمع الإيبارشيات لخدمة أولويات التقدم.
وعلينا أن نمارس كل ما نملك من ضغط على ثلاثة محاور:

- ١- الكتابة ونشر الأبحاث.
- ٢- استعادة وتجديد دور المجلس الملي.
- ٣- تجميع الشباب الذي أتقن معرفة تراثنا.

يتبع

دكتور

جورج حبيب بياوي